العدد ١٩ تشرين الثاني ٢٠٢٥
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.19 – Nov 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

الخطاب القرآني في مواجهة اتهامات المشركين واستشكالاتهم في العهد المكي
ـ دراسة فكرية تحليلية ـ

م. د. ماهر محمد فهد الخفاجي
ديوان الوقف السني/ دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

The Quranic Discourse in Confronting the Accusations and Questions of the Polytheists in the Meccan Era - An Intellectual and Analytical Study

Dr. Maher Mohammed Fahad Al Khafaji
Sunni Endowment Office/Department of Religious Education and Islamic Studies

Keywords: Quranic discourse, intellectual accusations, Islamic thought, Meccan era, rational dialogue.

maher.maher202026@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني، الاتهامات الفكرية، الفكر الإسلامي، العهد المكي، الحوار العقلي.

ملخّص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل الخطاب القرآني في الفترة المكية تحليلاً فكرياً يمكن من خلاله استكشاف طبيعة المواجهة بين النص القرآني النازل من السماء، والفكر الجاهلي الذي بدأ مواجهة دعوة الدين الجديد باتهامات واستشكالات متعددة.

وقد تناولت الدراسة أربعة موضوعات أساسية شكلت عناصر الاتهام المكي، فكانت اتهامات متعلقة بالله تعالى، وبالقران الكريم، والنبي ﷺ، وأخيرا باليوم الآخر، ثم بينت الدراسة منهج القرآن الكريم في الرد على تلك الاتهامات بأسلوب يجمع بين الإقناع العقلي، والحوار المنطقي، وكل ذلك مترافق مع التوجيه الوجداني.

اعتمدت الدراسة منهجاً تحليلياً للنصوص القرآنية النزالة في العهد المكي، والوقوف على مصادر التفسير وبعض كتب الفكر الإسلامي، لاستكشاف طبيعة الردود القرآنية، ثم مقارنة منهجها بأساليب من وجه تلك الاتهامات في الطرح والجدال.

وقد خلصت الدراسة إلى ان القرآن المكي أسس منظومة عقلانية فكرية متكاملة أساسها التوحيد، ثم الحرية الفكرية، ومن قبلها المسؤولية الأخلاقية، وأن هذه الردود لم تكن ردا جدليا لحالة مؤقتة، بل مشروعا إصلاحيا لتصحيح جميع التصورات الإنسانية عن الإله والكتاب والنبوة ومعاد الناس.

وتظهر أهمية الدراسة في بيان منهج التفكير القرآني كنموذج متميز للحوار الفكري الإسلامي، يمكن للمفكرين اليوم استلهامه في تقوية الخطاب الإسلامي المعاصر في الردّ على الشبهات الفكرية الحديثة عن طريق المنهج القرآني ذاته.

Abstract

This study aimed to provide an intellectual analysis of the Quranic discourse during the Meccan period, exploring the nature of the confrontation between the divinely revealed Quranic text and the pre-Islamic thought that began confronting the call of the new religion with multiple accusations and objections.

The study addressed four main topics that constituted the elements of the Meccan accusation: accusations related to God Almighty, the Quran, the Prophet (peace and blessings be upon him), and finally, the Day of Judgment. The study then demonstrated the Qurans approach to responding to these accusations using a style that combines rational persuasion and logical dialogue, all accompanied by emotional guidance.

The study adopted an analytical approach to the Quranic texts revealed during the Meccan period, examining sources of interpretation and some books of Islamic thought to explore the nature of the Quranic responses, then comparing their approach to the methods of those who made these accusations in their arguments and debates.

The study concluded that the Meccan Quran established a comprehensive rational intellectual system based on monotheism, followed by intellectual freedom, and, prior to that, moral responsibility. These responses were not merely a dialectical response to a temporary situation, but rather a reform project to correct all human perceptions of God, the Book, prophethood, and the afterlife.

The importance of the study is evident in its demonstration of the Quranic method of thought as a distinct model for Islamic intellectual dialogue, from which todays thinkers can draw inspiration to strengthen contemporary Islamic discourse in responding to modern intellectual doubts using the Quranic method itself.

المقدمة

إن الخطاب القرآني المكي يعد المرحلة التأسيسية الكبرى التي قام عليها بناء الفكر الإسلامي، وذلك لما انطوى عليه من معالجات فكرية عميقة لمقالات المشركين واستشكالاتهم المتعلقة بقضايا الإيمان بالاله والوحي والنبي واليوم الآخر، ولم يكن الخطاب حينها مجرد ردود تتعلق باعتراضات وقتية آنية، بل كان مشروعاً شاملاً خاطب الفكر ليعيد صياغة مفهوم العقيدة في ضوء الوحي الالهي والعقل الرشيد، ليؤسس بنية فكرية متكاملة تميز الأفكار الإسلامية عن سائر نظم المعرفة السائدة في ذلك الوقت وقبله.

لقد واجه مشركو مكة ومن معهم الدعوة الإسلامية بمجموعة من الاتهامات الفكرية، والاستشكالات الجدلية التي طالت ذات الاله وطبيعة القران وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ووظيفته وفكرة المعاد بعد الموت، وكان من الملفت للنظر ان القرآن الكريم لم يتعامل مع الاتهامات هذه بأسلوب العنف أو الإلغاء، بل استعمل أسلوب الحوار والإقناع، ومن ثم الاستدلال العقلي، وهذا يدل على أن القرآن الكريم أسس لمنهج استعمال العقل والحوار لمواجهة الانحرافات الفكرية.

ومن هنا ظهرت فكرة هذا البحث فهو يسعى لتحليل الخطاب القرآني في العهد المكي تحليلا فكريا يبرز من خلاله المنهج القرآني اثناء معالجة الشبهات والاتهامات، وفي الوقت ذاته يكشف عن خصائص التفكير القرآني في محاورته للمخالفين، ويمكن جعله محاولة لاستلهام هذا المنهج في دعم أدوات الفكر الإسلامي المعاصر عند الرد على الشبهات الفكرية الحديثة.

أولا: أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث في النقط الآتية:

١- اظهار الطابع الفكري التحليلي للخطاب القرآني بالإضافة الى الجانب الوعظي أو الجدلي فقط.

٢- تأكيد منهج القرآن في بناء العقل الإيماني القائم على الاقناع والحوار لا على الاكراه والتلقين .

٣- بيان ملامح الفكر الإسلامي المبكر الذي أسسه القران الكريم من خلال ردوده على استشكالات المشركين.

٤- الإفادة من المنهج القرآني في دعم أدوات الفكر الإسلامي وهو يواجه الشبهات الفكرية الحديثة بالأسلوب القرآني ذاته.

ثانيا: مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في تساؤل أساس هو:

كيف واجه الخطاب القرآني في العهد الأول الاتهامات والاستشكالات التي أثارها المشركون؟ وما المنهج الفكري الذي اعتمده في الرد عليها؟ وانبثق عن هذا السؤال عدد من التساؤلات الفرعية:

- ما طبيعة الاتهامات التي وجهت إلى موضوعات العقيدة الإسلامية في العهد المكي؟
- ما الأساليب الفكرية التي تبناها القرآن الكريم في الرد على هذه الاتهامات؟
- ما الخصائص الفكرية العامة التي تميز بها الخطاب القرآني في تلك المرحلة؟
- كيف يمكن الاستفادة من المنهج القرآني في دعم أدوات الفكر الإسلامي المعاصر؟

ثالثا: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

١- تتبع نصوص السور المكية وتحديد الآيات التي تضمنت اتهامات المشركين المتعلقة بالله والقران والنبي واليوم الاخر.

٢- تحليل الخطاب القرآني للكشف عن ردود تلك الاتهامات والاستشكالات.

٣- اظهار منهج القرآن في محاورة خصومه الفكريين على أساس من العقل والحجة.

٤- تقديم قراءة فكرية تحليلية تطبيقية يمكن أن تسهم بشكل فاعل في تأصيل منهج الرد الإسلامي المعاصر.

رابعا: منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث المنهج التحليلي، حيث قام باستقراء النصوص القرآنية المكية واستخرج منها الشبهات التي طرحها مشركو مكة، وحلل مضامينها الفكرية والعقدية، ثم تتبع ردود القران على تلك الشبهات، واستفاد في ذلك من كتب التفسير وعلوم القرآن، ورجع الى المصادر الفكرية المعاصرة ذات الصلة بالموضوع، وأشار الى طبيعة الخطاب القران الذي تضمنته تلك الردود.

خامسا: حدود البحث:

اقتصر البحث على المرحلةالمكية من الخطاب القرآني، ولم يدخل الى المرحلة المدنية، نظرا للخصوصية التي تتمتع بها المرحلة المكية من حيث طبيعة الخطاب الفكري والعقائدي، وهي ذاتها المرحلة التي تبلور فيها أساس الحوار الفكري القرآني في عهده الأول، وحصر الاتهامات في أربعة موضوعات أساسية هي (الله/القران/الرسول/اليوم الاخر).

سادسا: خطة البحث:

جاء البحث في أربعة مباحث، سبقها مقدمة وتلاها خاتمة بالنتائج والمقترحات، وكانت على النحو الآتي:

المبحث الأول: الاتهامات والاستشكالات المتعلقة بالله عز وجل والرد عليها.

المبحث الثاني: الاتهامات والاستشكالات المتعلقة بالقران والرد عليها.
المبحث الثالث: الاتهامات والاستشكالات المتعلقة بشخص النبي صلى الله عليه وسلم والرد عليها.
المبحث الرابع: الاتهامات والاستشكالات المتعلقة باليوم الآخر والرد عليها.
ثم تأتي الخاتمة المتضمنة للنتائج الفكرية العامة ومقترحات البحث.

المبحث الأول: الاتهامات والاستشكالات المتعلقة بالله عز وجلّ.

يعتبر هذا المبحث مدخلا مهما لفهم أساس الانحراف العقدي عند مشركي مكة، إذ يتناول الاتهامات التي وجهها مشركو مكة إلى الله تعالى، من حيث وحدانيته، وصفاته التي تفرد بها، وقدرته وتدبيره للكون، وتواصله مع خلقه عبر الوحي الذي انزله، وقد سعى المبحث إلى تحليل الخطاب القرآني وموقفه من تلك التصورات المنحرفة، ثم بيان كيف واجه تلك الاتهامات بالبيان الفطري وبالحجة العقلية مما أسهم بشكل واضح في اعادة الإنسان إلى وعيه التوحيدي الأصيل، كما أظهر هذا المبحث الأسلوب القرآني في بناء وتصحيح صورة الإله عند من خاطبهم القران ابتداء، فأرسى عندهم مفهوم التوحيد الخالص، وفيما يأتي عرض لأهم هذه الاتهامات والاستشكالات مع تحليل رد القرآن عليها:

١- استنكار التوحيد: (أجعل الآلهة إلها واحدا؟)

استنكر مشركو مكة مبدأ التوحيد، وعدوه شأنا غريبا يخالف الذي ورثوه من تعدد الآلهة، فقالوا: (أَجَعَلَ الْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ)[١]ويلمح أن اعتراضهم في جوهره كان سياسيا أو اجتماعيا بقدر ما هو ديني؛ لأن توحيد الإله سيؤدي إلى نسف سلطتهم الروحية التي بنوها على عبادة الأصنام[٢].

ردّ القرآن الكريم ببرهان عقلي قاطع على تلك الشبهة (لَو كانَ فيهِما ءالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا)[٣]، أي إن تعدد آلهة الكون سيؤدي لا محالة إلى فساد النظام الكوني وذلك نتيجة تضارب الإرادات[٤]، وأكد القران الكريم أن وحدة الخلق دليل على وحدة الخالق: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِن إِلـٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلـٰهٍ بِما خَلَقَ)[٥]، وهكذا نجد الخطاب القرآني يواجه الشبهة بالمنطق العقلي لا بالانفعال، مثبتا أن توحيد الاله ضرورة من ضرورات الوجود.

٢- رؤية الله: (أو نرى ربنا)

قال الكافرون تحديا أو استهزاء: (أَو نَرىٰ رَبَّنا)[٦]يريدون الرؤية المحسوسة قبل الإيمان، وكان طلبهم في ظاهره يبدو أنه بحث عن اليقين، لكنه في حقيقته مغالطة وتعنت، فلم يكن الإيمان عندهم يقوم على الدليل بل على مشاهدة مادية[٧].

رد القرآن الكريم بقاعدة عقلية عميقة: (لا تُدرِكُهُ الأَبصـٰرُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصـٰرَ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ)[٨] أي أن الله تعالى أعلى من حدود الإدراك الحسي، يمكن للقلوب أن تدركه بنور الإيمان ويمكن للمؤمن أن يرى آثار ربه في كل حركة وسكنة في هذا الكون، فرد القرآن هنا جمع بين التربية الايمانية وبين التنزيه العقلي، وأسس لفهم يتعامل مع طبيعة الغيب وعلاقة الإنسان بالأمور الغيبية.

٣- نسبة الولد إلى الله.

من اظهر الاتهامات التي قالها المشركون: (وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحمـٰنُ وَلَدًا)[٩]، وقالوا: (وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُم لَكـٰذِبونَ)[١٠] وكذلك (وَيَجعَلونَ لِلَّهِ البَنـٰتِ سُبحـٰنَهُ)[١١]، وهذه شبهة تطعن جوهر العقيدة في الإسلام، إذ تجعل الله سبحانه محتاجا الى خلقه أو مشابها لهم.

وردود القرآن كانت على مستويات من الحجة، فأولها كان تنزيه الذات الإلهية: (وَما يَنبَغى لِلرَّحمـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا)[١٢]، ثم أعلن الاستغناء المطلق عن كل شيء: (سُبحـٰنَهُ هُوَ الغَنِىُّ)[١٣]، وناقش الشبهة بالدليل العقلي: (لَو أَرادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصطَفىٰ مِمّا يَخلُقُ ما يَشاءُ سُبحـٰنَهُ)[١٤]، فالولادة تستلزم التجانس

والافتقار تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا [١٥]، وكذلك أكد لهم أن نسبة البنات إلى الله فيه ظلم (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثىٰ تِلكَ إِذًا قِسمَةٌ ضيزىٰ)[١٦]، وهذه الشبهة واجهها القران بمزيج من الحوار العقلي وتنزيه الإله ثم استعمل معهم التوبيخ الأخلاقي.

٤- إنكار الوحي الالهي: (ما أنزل الله على بشر من شيء)

قال الكافرون متهمين الله جل في علاه: (وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدرِهِ إِذ قالوا ما أَنزَلَ اللَّهُ عَلىٰ بَشَرٍ مِن شَيءٍ)[١٧] ، وهذا اتهام لله أنه سبحانه لا يتواصل مع البشر.

فرد القرآن الكريم عليهم بأسلوب جدلي دقيق: (قُل مَن أَنزَلَ الكِتـٰبَ الَّذى جاءَ بِهِ موسىٰ نورًا وَهُدًى لِلنّاسِ)[١٨]، أي ان إنكارهم للوحي ناقض ما يقرون به من نبوة سيدنا موسى عليه السلام، ثم اثبت سبحانه بصورة قاطعة رد هذا الاتهام فقال سبحانه: (وَبِالحَقِّ أَنزَلنـٰهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ)[١٩]، فأكد لهم أن تواصل الله مع خلقه من البشر حقيقة متكررة في التاريخ، حدثت لمن قبلهم وتحدث بالحق لنبيهم[٢٠].

٥- النسب بين الله والجن.

قال الله تعالى: (وَجَعَلوا بَينَهُ وَبَينَ الجِنَّةِ نَسَبًا)[٢١] ، فهم زعموا أن بين الله عز وجل والجن مصاهرة أو قرابة، ويبدو أن هذا التصور انما كان محاولة لتفسير العلاقة بين العالمين الغيبي والمشهود، فجعلوا الملائكة من نسل الله والجن[٢٢].

رد القرآن الكريم على ذلك الاتهام بانكار قاطع، مؤكدا على أن الملائكة والجن عباد لله سبحانه فلا نسب بينهم وبينه: (سُبحـٰنَهُ بَل عِبادٌ مُكرَمونَ لا يَسبِقونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلونَ)[٢٣]، فالرد قاطع يقوم على تنزيه الإله من كل علاقة نسب أو غيره، وإثبات للجميع أن كل المخلوقات – مهما كان شأنها – خاضعة لسلطانه سبحانه لا تربطها به إلا العبودية.

٦- مطالبة الله بانزال الملائكة بدل البشر.

قال المشركون متعنتين (لَولا أُنزِلَ عَلَينَا المَلـٰئِكَةُ)[٢٤]و (وَقالوا لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ مَلَكٌ)[٢٥]، ورد القرآن الكريم عليهم ببيان منطقي فقال: (وَلَو أَنزَلنا مَلَكًا لَقُضِىَ الأَمرُ ثُمَّ لا يُنظَرونَ وَلَو جَعَلنـٰهُ مَلَكًا لَجَعَلنـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسنا عَلَيهِم ما يَلبِسونَ)[٢٦]، وهذا يعني أن إرسال ملك في صورة حقيقية سيؤدي إلى اعتراض من يعاينه من البشر، وان أرسل الله الملك في صورة بشر لما اختلف حاله عن حال الرسول الآدمي.

فالقرآن الكريم -هنا- يؤكد أن مبدأ الرسالة من الأساس يقتضي التناسب بين المتلقي والمبلغ، وأن حكمته تعالى تقتضي أن يكون الرسول بشرا يستطيع الناس أن يدركوا لغته وسلوكه[٢٧].

٧- اختيار الله للنبي من دونهم.

قال بعض المشركين المعترضين: (أَءُنزِلَ عَلَيهِ الذِّكرُ مِن بَينِنا)[٢٨]، وقالوا كذلك: (وَقالوا لَولا نُزِّلَ هـٰذَا القُرءانُ عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ القَريَتَينِ عَظيمٍ)[٢٩]، وهذا اعتراض نابع من الغرور الطبقي الذي يعيشونه لا من باب البحث عن الحق[٣٠]، فهم قاسوا الرسالة بمقاييس المكانة والمال.

ورد القرآن الكريم عليهم بمبدأ حاسم: (أَهُم يَقسِمونَ رَحمَتَ رَبِّكَ نَحنُ قَسَمنا بَينَهُم مَعيشَتَهُم فِى الحَيوٰةِ الدُّنيا)[٣١]، أي ان اصطفاء الانبياء شأن رباني، لا يخضع أبدا لحسابات البشر، وأكد لهم الله أنه سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته: (اللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالَتَهُ)[٣٢]، وبذلك أثبت لهم أن النبوة ليست ترشيحا بشريا، بل هي اختيار الهي قائم على العلم الشامل والحكمة الربانية.

ويتضح من خلال تحليل ردود القرآن على اتهامات واستشكالات المشركين المتعلقة بالله، أن الخطاب القراني المكي أسس لنمط التفكير التوحيدي العقلاني، والذي يقوم على تحرير عقول البشر من جميع قيود الأسطورة أو الوراثة الدينية، وينشئ مفهوما جديدا عن الإله قائم على الوحدة والتنزيه، وهذا ما يمثل دقة

الفكر الإسلامي في نقد الوثنية وعبادة غير الله بوصفها انحرافا فكريا في التصور الإلهي وليس مجرد عبادة خاطئة.

المبحث الثاني: الاتهامات والاستشكالات المتعلقة بالقران الكريم.

يتناول هذا المبحث الاتهامات التي وجهها المشركون إلى الكتاب الذي انزله الله، فهم قد شككوا في حقيقة الوحي وقالوا بصريح العبارة أنه مفترى، واعتبروه سحرا أو شعرا أو من خرافات الأولين، وانه لا فرق بينه وبين كلام البشر، وطالبوا بتغييره، وتعجبوا من نزوله مفرقا، وهدف هذا المبحث إلى بيان منهج القرآن الكريم في رد هذه الشبهات، وركز على تميز القرآن بأسلوبه ومضمونه عن أي نتاج بشري، وعرض كيف واجه القرآن الكريم الاتهامات عبر التحدي البياني وعبر البرهان العقلي، وفيما يأتي عرض لأهم هذه الاتهامات والاستشكالات مع تحليل رد القرآن عليها:

١- افتراء القرآن

وجه المشركون اتهامهم الى القرآن بأنه مفترى ومن تأليف النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: (إِن هَٰذَا إِلَّا إِفكٌ افتَرَىٰهُ وَأَعانَهُ عَلَيهِ قَومٌ ءاخَرونَ)[٣٣]، وأشاروا لذلك بقولهم (أَم يَقولونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤمِنونَ)[٣٤]، وكذلك (وَقالوا أَساطيرُ الأَوَّلينَ اكتَتَبَها)[٣٥]، وهدفوا من ذلك إلى نفي وحي السماء واسقاط قداسة نص القران.

ولم يترك القرآن هذاالادعاء بل رد عليه من خلال الدليل الأخلاقي والعقلي، فقال تعالى: (وَلَو تَقَوَّلَ عَلَينا بَعضَ الأَقاويلِ لَأَخَذنا مِنهُ بِاليَمينِ)[٣٦]، وهذا نفي صريح لاستحالة افتراء الوحي من نبي صادق، ثم تحداهم بقوله تعالى: (فَليَأتوا بِحَديثٍ مِثلِهِ إِن كانوا صـٰدِقينَ)[٣٧]، فلما عجزوا عن ذلك دلّ إعجازهم على أن القرآن فوق طاقة أي بشر[٣٨]، ثم ذكرهم بأن الوحي مصدره إلهي (وَإِنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ العـٰلَمينَ نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمينُ)[٣٩]، ليثبت الله بذلك أن القرآن الكريم تنزيل رباني لا مجرد صناعة بشرية.

٢- القرآن سحر.

وجه المشركون اتهامهم للقران بأنه سحرٌ يؤثر في العقول فقالوا (إِن هـٰذا إِلّا سِحرٌ يُؤثَرُ)[٤٠] وقالوا لبعضهم مستنكرين (أَفَتَأتونَ السِّحرَ وَأَنتُم تُبصِرونَ)[٤١].

وكان الرد واضحا بأن القرآن هو الحق الواضح الذي لا خداع فيه ولا تمويه، يقول تعالى: (قُل لا يَستَوِى الخَبيثُ وَالطَّيِّبُ)[٤٢]، فالحق لا يشبه السحر في أثره، وأكد لهم أن وظيفة القرآن الكريم الهداية والبيان (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرءانِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ)[٤٣]، وقد بيّن بعض المفسرين أن وصف المشركين للقرآن بالسحر دليل عجز منهم عن مواجهته بالحجة، فهم قد استبدلوا البرهان بالاتهام[٤٤].

٤- القرآن أضغاث أحلام

قال بعض مشركي مكة عن القران استهزاء (بَل قالوا أَضغـٰثُ أَحلـٰمٍ) [٤٥]، أي هو خيالات وأوهام لا حقيقة لها، واخلاط مثل الاحلام المختلطة، وأهاويل رآها في منامه[٤٦]، والقرآن الكريم رد على هذه المزاعم عن طريق بيان أن ما في القران علم منزل من عند الاله، فهو ليس نتاج أحلام بشرية، فقال تعالى: (قُل أَنزَلَهُ الَّذى يَعلَمُ السِّرَّ فِى السَّمـٰوٰتِ وَالأَرضِ)[٤٧]، وأكد لهم أن الرسول -وهم يعرفونه- لم يكن يتلو كتابا قبل ولا يكتب بيده كتابا (وَما كُنتَ تَتلوا مِن قَبلِهِ مِن كِتـٰبٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمينِكَ)[٤٨]، فقطع بذلك أي صلة بين القران والخيال أو الخرافة.

٥-القرآن غير حق.

استفهم مشركو مكة عن القران الكريم مستنكرين: (وَيَستَنبِـٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُل إِى وَرَبّى إِنَّهُ لَحَقٌّ)[٤٩] والرد جاء متصلا في ذات سياق ايراد الشبهة، ثم ذكر القران مؤكدا: (وَبِالحَقِّ أَنزَلنـٰهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ)[٥٠]، فنزوله وتبليغه قائم على العدل والصدق، قال تعالى: (وَكَذَّبَ بِهِ قَومُكَ وَهُوَ الحَقُّ)[٥١]، منبها الى أن

التكذيب لا يغير من حقيقة القران وصدقه، حيث لم يكن استفسار المشركين في غالبه بحثا عن إجابة، بل انكار للحق الجلي الذي دل عليه جميع الدلائل(٥٢).

٦- المطالبة بتغيير القرآن

قال الذين كفروا: (ائتِ بِقُرءانٍ غَيرِ هـٰذا أَو بَدِّلهُ)(٥٣)، فهم يريدون تعديل النص بما يلائم أهواءهم، فما كان من القران الا أن رد على هذا الطلب على لسان النبيّ صلى الله عليه وسلم: (ما يَكونُ لى أَن أُبَدِّلَهُ مِن تِلقائِ نَفسى إِن أَتَّبِعُ إِلّا ما يوحىٰ إِلَىَّ)(٥٤)، مبينا لهم أنه عليه البلاغ لا تحرير النص، ثم أكّد سبحانه وتعالى في الآية التي تليها: (قُل لَو شاءَ اللَّهُ ما تَلَوتُهُ عَلَيكُم وَلا أَدرىٰكُم بِهِ)(٥٥)، فتبليغ القرآن الكريم خاضع لمشيئته سبحانه وحده، وهذا مما يؤكد مبدأ قدسية النص وثباته، وأن القران لا يقبل التبديل أو التحويرتبعا للرغبات البشرية.

٧- نزول القرآن منجما.

من الاستشكالات التي طرحها المشركون ذلك الاستشكال الذي سجله القران الكريم بقوله على لسانهم: (لَولا نُزِّلَ عَلَيهِ القُرءانُ جُملَةً وٰحِدَةً)(٥٦)، فجاء جواب الله لهم: (كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلنـٰهُ تَرتيلًا)(٥٧)، فالقرآن نزل مفرقا لحكمة تربوية هي تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك لتدرج الأمة في فهمه وتطبيقه، ولم يكن ذلك لعجزٍ عن إنزاله جملة واحدة، وبهذا أجاب القرآن على ذلك الأمر الذي قد يثير التساؤل فاعطاهم تفسيرا تربويا يظهر البعد المقصود من تنجيم القران(٥٨).

٨- القرآن أساطير الأولين.

حين نزل القران في مكة وتلاه النبي صلى الله عليه وسلم قال المشركون عن هذه الآيات التي تليت عليهم: (إِذا تُتلىٰ عَلَيهِ ءايـٰتُنا قالَ أَسـٰطيرُ الأَوَّلينَ)(٥٩)، أي أنها من حكايات الاقوام السابقين، ورد القرآن الكريم اتهامهم هذا مبني على المكابرة لا الدليل، فقد اثبت لهم في غير موضع أن القران منزل من الله: (قُل أَنزَلَهُ الَّذى يَعلَمُ السِّرَّ فِى السَّمـٰوٰتِ وَالأَرضِ)(٦٠)، كما أكّد أن في هذا القرآن من البيان والعلم ما لا يوجد في أساطير الاقوام الأولين، فقال سبحانه: (وَلَقَد ضَرَبنا لِلنّاسِ فى هـٰذَا القُرءانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرونَ)(٦١)، فالقرآن حتى حين حكى قصص الأنبياء وظّفها للعبرة والهداية، وهذا من أهم ما يميّزه عن الأساطير التي اختلقها البشر(٦٢).

ومن جميع ما تم ايراده من اتهامات -متعلقة بالقران- وردودها يظهر أن الدين الإسلامي قدم رؤية فكرية تقوم على أن الحقائق المعرفية مصدرها وحي إلهي حق فليس هو من الخيال او الاساطير، وأسّس أن القرآن هو المعرفة الربانية في مقابل جميع التصورات البشرية المحدودة.

المبحث الثالث: الاتهامات والاستشكالات التي تتعلق بشخص النبي صلى الله عليه وسلم

يتناول هذا المبحث الاتهامات التي وجهها المشركون لشخص النبي صلى الله عليه وسلم، فقد اتهموه بالافتراء والكذب والسحر بل واتهموه بالجنون والكذب، وارادوا اسقاط مكانته والنيل من مصداقيته لأجل أن يصرفوا الناس عن دعوته، واستشكلوا بشريته، وزعموا بأنه مسحور وانه يتصل بالشياطين، وطالبوه بالايات المادية ليثبت صدق ما يدعي، وناله صلى الله عليه وسلم من الأذى والاستهزاء ما ناله، واستعرض المبحث أسلوب القرآن في الدفاع عن شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وبين كيف أن القرآن أكد صفاته الخُلُقية، وجعله مرتبطا بسير الرسل السابقين له؛ لإثبات وحدة رسالتهم السماوية، كما ظهر بشكل واضح البعد الإنساني في ردود القرآن الكريم على تلك الاتهامات، وبما يعكس توازن الخطاب الاسلامي بين الصبر والبيان، وفيما يأتي عرض لأهم هذه الاتهامات والاستشكالات مع تحليل رد القرآن عليها:

١- الجنون.

اتهم المشركون النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون: (وَيَقولونَ إِنَّهُ لَمَجنونٌ)[٦٣]، و(وَقالوا يـٰأَيُّهَا الَّذى نُزِّلَ عَلَيهِ الذِّكرُ إِنَّكَ لَمَجنونٌ)[٦٤]، وقالوا كذلك: (أَئِنّا لَتارِكوا ءالِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجنونٍ)[٦٥].

فردّ عليهم القرآن الكريم أبلغ رد بقوله: (وَما صاحِبُكُم بِمَجنونٍ)[٦٦]، و (ما أَنتَ بِنِعمَةِ رَبِّكَ بِمَجنونٍ)[٦٧]، وقوله تعالى: (ما ضَلَّ صاحِبُكُم وَما غَوىٰ)[٦٨]، وفيا لوقت ذاته دعاهم للتفكر بعقولهم : (ما بِصاحِبِكُم مِن جِنَّةٍ)[٦٩]، فأبطل الوحي هذه التهمة عنه صلى الله عليه وسلم بالبرهان العقلي، مؤكدا لهم أن الجنون بعيد عن (صاحبكم)، والجنون لا يلازم من أتى ببيان بليغ ونظام أخلاقي رفيع.[٧٠]

٢- السحر.

قال المشركون مستنكرين (وَعَجِبوا أَن جاءَهُم مُنذِرٌ مِنهُم وَقالَ الكـٰفِرونَ هـٰذا سـٰحِرٌ كَذّابٌ)[٧١]، و (وَإِن يَرَوا ءايَةً يُعرِضوا وَيَقولوا سِحرٌ مُستَمِرٌّ)[٧٢].

رد القرآن الكريم مبينا أن هذه الدعوى -السحر- مردودة، إذ قال تعالى: (انظُر كَيفَ ضَرَبوا لَكَ الأَمثالَ فَضَلّوا فَلا يَستَطيعونَ سَبيلًا)[٧٣]، فهم لما عجزوا عن تفسير المعجزات الإلهية لجؤوا إلى تهمة السحر وغيرها.

ثم هم الذين يعرفون أن السحر القائم على خداع بصري سينقضي أثره، بينما المعجزة الثابتة تتحدى العقول وتبقى خالدة، وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس الناس بالقران باق يتحدى الزمن[٧٤].

٣- الشعر.

اتُهِمَ النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر فقال عنه المشركون: (بَلِ افتَرىٰهُ بَل هُوَ شاعِرٌ)[٧٥]، وفي آية أخرى(أَم يَقولونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيبَ المَنونِ)[٧٦].

فرد عليهم الوحي الإلهي قائلا: (وَما عَلَّمنـٰهُ الشِّعرَ وَما يَنبَغى لَهُ)[٧٧]، وقوله تعالى: (وَما هُوَ بِقَولِ شاعِرٍ قَليلًا ما تُؤمِنونَ)[٧٨].

دحض هذا الرد هذه التهمة من أصلها، فالقرآن في أسلوبه ونظمه لا ينتمي لبحر من بحور الشعر، ولا هو يحمل خصائصه الفنية، بل يمكن أن نجعله نمطا بيانيا فريدا يقوم على الإعجاز في تراكيبه ومعانيه[٧٩]، كما ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش معهم ٤٠ سنة قبل يأتيهم بالقران ولم يؤثر عنه انه قال شعرا.

٤- الكهانة.

زعم بعض المشركين أن النبي صلى الله عليه وسلم كاهن، فقال تعالى: (فَذَكِّر فَما أَنتَ بِنِعمَتِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ)[٨٠]، ورد القرآن مؤكدا ذلك: (وَلا بِقَولِ كاهِنٍ قَليلًا ما تَذَكَّرونَ)[٨١].

إن الكهانة -عند العرب- كانت قائمة على التخمين والظن مع الاعتماد على استراق السمع من شياطين الجن[٨٢]، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاء بوحي إلهي يصدقه الواقع، فالكهانة والنبوة بينهما فارق جوهري من حيث المضمون والمصدر.

٥- الكذب.

قال مشركو مكة طاعنين في النبي صلى الله عليه وسلم: (هـٰذا سـٰحِرٌ كَذّابٌ)[٨٣]، وقالوا: (أَم يَقولونَ افتَرىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)[٨٤]، فردّ القرآن الكريم مؤكدا صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأىٰ)[٨٥]،وقال جلّ من قائل: (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرءانَ مِن لَدُن حَكيمٍ عَليمٍ)[٨٦]، كما استدل المفسرون بأن النبي صلى الله عليه وسلم اشتهر بصدقه قبل البعثة وحتى بعدها، ولم يعرف عنه قومه كذب قط[٨٧]، فالاتهام بالكذب يتناقض مع سيرته الثابتة، وقد أكد القرآن الكريم هذا البرهان عندما ذكر الرسل الذين كُذِّبوا من اقوامهم ثم ظهر صدقهم.

٦- استشكال بشرية النبي صلى الله عليه وسلم.

لقد استنكر المشركون أن يكون رسول الله بشرا مثلهم، فقالوا مستشكلين (وَقالوا مالِ هٰذَا الرَّسولِ يَأكُلُ الطَّعامَ وَيَمشى فِى الأَسواقِ)[٨٨]، وقالوا: (أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسولًا)[٨٩]، فجاءهم الوحي بالرد: (وَما أَرسَلنا قَبلَكَ مِنَ المُرسَلينَ إِلّا إِنَّهُم لَيَأكُلونَ الطَّعامَ وَيَمشونَ فِى الأَسواقِ)[٩٠]، وقوله تعالى: (قُل لَو كانَ فِى الأَرضِ مَلـٰئِكَةٌ يَمشونَ مُطمَئِنّينَ لَنَزَّلنا عَلَيهِم مِنَ السَّماءِ مَلَكًا رَسولًا)[٩١].

ويتضح من خلال الرد أن بشرية النبي صلى الله عليه وسلم ضرورة لتواصل الرسالة، فلو جعله الله ملكا لما أمكن الاقتداء به من البشر، وهذا الجواب القرآني قام بشكل كلي على منطق الواقعية والحكمة.

٧- النبي مسحور.

قال مشركو مكة لمن حولهم من الناس: (إِن تَتَّبِعونَ إِلّا رَجُلًا مَسحورًا)[٩٢]، والثابت سلامة عقل وقلب النبي صلى الله عليه وسلم من كل تأثير خارجي والدلائل القطعية ناطقة بعصمته صلى الله عليه وسلم[٩٣]، وأن وحيه صلى الله عليه وسلم محفوظ من أي تلاعب من الشياطين: (وَما تَنَزَّلَت بِهِ الشَّيـٰطينُ وَما يَنبَغى لَهُم وَما يَستَطيعونَ)[٩٤].

فالقران الكريم يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم من كل تهمة قد تمس وعيَه أو وحيه، وهو صلى الله عليه وسلم محفوظ بالعصمة الإلهية عن كل ما يقدح نبوته او يطعن في تبليغه للدين الذي أوحى به إليه ربه[٩٥].

٨- اتصال النبي بالشياطين.

زعم مشركو مكة أن الشياطين تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم[٩٦]، فأجابهم القران ساخرا منهم ومن دعواهم: (هَل أُنَبِّئُكُم عَلىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيـٰطينُ تَنَزَّلُ عَلىٰ كُلِّ أَفّاكٍ أَثيمٍ)[٩٧]، ونفى رب العالمين هذا - الاتهام- عن نبيه فقال: (وَما تَنَزَّلَت بِهِ الشَّيـٰطينُ وَما يَنبَغى لَهُم وَما يَستَطيعونَ)[٩٨]، فأشار القران لهم ان هذا النبي عاش بينكم عمرا وما أثرتم عنه كذبا، والتنزيل الشيطاني لا يكون إلا على أناس كاذبين، أما النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي الحق.

٩- افتقار النبي للآيات المادية.

قال المشركون في اتهام للنبي صلى الله عليه وسلم: (وَيَقولونَ لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ ءايَةٌ مِن رَبِّهِ)[٩٩]، و(لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ كَنزٌ أَو جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ)[١٠٠]، وكان رد القرآن عليهم: (قُل إِنَّمَا الـٔايـٰتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّما أَنا۠ نَذيرٌ مُبينٌ) [١٠١]، وقوله تعالى: (فَقُل إِنَّمَا الغَيبُ لِلَّهِ فَانتَظِروا إِنّى مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرينَ)[١٠٢]، مؤكدا لهم أن النبي عنده في الإعجاز القرآني أعظم الآيات، فالمعجزة البيانية المستمرة، اعظم من معجزة مادية زائلة، فحوّل نظرهم الى مفهوم المعجزة النبوية الغائب عنهم.

١٠- شبهة ترك الله للنبي.

قال الله تعالى: (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلىٰ)[١٠٣]، فيما يوحي أن هناك اتهام من المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم بان ربه تركه، وهذا الاتهام نشأ من تأخر الوحي فترة عن النبي صلى الله عليه وسلم[١٠٤]، لهذا استغل المشركون هذا الامر للطعن في الصلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وربه، فجاءه وجاءهم الردّ مطمئنا يحمل لمسة وجدانية يظهر من خلالها عمق العلاقة بين الله ورسوله.

١١- شبهة التخوف من اتباع النبي.

قال مشركو مكة للنبي صلى الله عليه وسلم: (إِن نَتَّبِعِ الهُدىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّف مِن أَرضِنا)[١٠٥]، فأجابهم القرآن الكريم: (أَوَلَم نُمَكِّن لَهُم حَرَمًا ءامِنًا يُجبىٰ إِلَيهِ ثَمَرٰتُ كُلِّ شَىءٍ رِزقًا مِن لَدُنّا)[١٠٦]، وبين لهم الرد أن الرزق والأمن بيد الله لا بيد من سواه، بل ان وجود النبي صلى الله عليه وسلم هو سبب من أسباب الحفظ لهم لا مصدرا من مصادر الخطر[١٠٧]، فقلب عليهم منطقهم الجاهلي.

١٢- شبهة إضلال النبي لهم.

قالوا في اتهام آخر: (إِن كادَ لَيُضِلُّنا عَن ءالِهَتِنا لَولا أَن صَبَرنا عَلَيها)[١٠٨]، فرد تعالى عليهم مهددا اياهم: (وَسَوفَ يَعلَمونَ حينَ يَرَونَ العَذابَ مَن أَضَلُّ سَبيلًا)[١٠٩]، والرد هنا يكشف عدالة الخطاب القرآني، فقد ترك الحكم لله يوم القيامة يوم يُرى العذاب حقا، حينها يُعلم من الذي كان على حق ومن كان على باطل، عندها سيظهر لهم أن التوحيد واتباع النبي صلى الله عليه وسلم هو طريق الهدى.

من خلال استعراض الاتهامات المتعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم والردود القرآنية على تلك الاتهامات يتبين منهج فكري دعوي دمج بين العقل والأخلاق في رد تلك الاتهامات، وأكد أن النبوة لا تقاس بمعايير اجتماعية أو طبقية، بل هي اصطفاء رباني قائم على الحكمة الإلهية، وهذا جوهر الفكر الإسلامي في فهم كل ما يتعلق بالنبوة.

المبحث الرابع: الاتهامات والاستشكالات المتعلقة باليوم الآخر.

يمثل الإيمان بالبعث والحساب أحد أركان العقيدة الإسلامية، ويتناول هذا المبحث موقف مشركي مكة من هذه القضية، ولعل هذه من أكثر المسائل التي أثاروها بسبب استغرابهم وإنكارهم لها، لانها لم تنسجم مع منطقهم المادي، فكانت تساؤلاتهم واستهزائهم بفكرة القيامة واليوم الاخر، وقد واجه القرآن الكريم هذه المواقف بأسلوب جمع بين الحجة العقلية والدليل الواقعي، كما وضح المبحث كيف أسهم خطاب القرآن بشكل فاعل في ترسيخ الإيمان باليوم الآخر كمنطلق لإصلاح الأخلاق وتنمية المجتمع، وفيما يأتي عرض لأهم هذه الاتهامات والاستشكالات مع تحليل رد القرآن عليها:

١- الاستعجال بموعد القيامة.

سجل القران الكريم استهزاء المشركين حين سألوا ساخرين: (يَسـَٔلُ أَيّانَ يَومُ القِيـٰمَةِ)[١١٠]، وسؤالهم: (مَتىٰ هـٰذَا الوَعدُ إِن كُنتُم صـٰدِقينَ)[١١١]، وانما أرادوا بذلك التشكيك في وقوع ذلك اليوم، وجعلوا من التأخر ذريعة للإنكار.

فجاءهم الرد من القرآن الكريم مؤكدا أن هناك أجلا محددا لا يتقدم أبدا ولا يتأخر: (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُم فَلا يَستَـٔخِرونَ ساعَةً وَلا يَستَقدِمونَ)[١١٢]، وأعلمهم أن موعد الساعة خاص بالله سبحانه وحده: (قُل إِنَّمَا العِلمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّما أَنا۠ نَذيرٌ مُبينٌ)[١١٣]، كما نبههم إلى ان المهم هو الالتفات الى عملهم الذي سيجزون به فقال الهم: (إِنَّ السّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكادُ أُخفيها لِتُجزىٰ كُلُّ نَفسٍ بِما تَسعىٰ)[١١٤]، فيبين هذا الخطاب أن تأخير يوم القيامة لا يعد دليلا على انتفائه، بل هي رحمة إلهية وتهيئة للحساب العادل في ذلك اليوم[١١٥].

٢- استبعاد إحياء العظام البالية.

قال مشركو مكة متعجبين ومستهزئين: (مَن يُحيِ العِظـٰمَ وَهِيَ رَميمٌ)[١١٦]، وقالوا متهكمين: (هَل نَدُلُّكُم عَلىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُم إِذا مُزِّقتُم كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُم لَفى خَلقٍ جَديدٍ)[١١٧]، فأجابهم القرآن الكريم بدليل الخلق الأول: (قُل يُحييهَا الَّذى أَنشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ)[١١٨]، وأجابهم بالقياس على خلق السماوات والأرض: (أَوَلَم يَرَوا أَنَّ اللَّهَ الَّذى خَلَقَ السَّمـٰوٰتِ وَالأَرضَ وَلَم يَعىَ بِخَلقِهِنَّ بِقـٰدِرٍ عَلىٰ أَن يُحـِۦَ المَوتىٰ)[١١٩]، وأراد بهذا الرد أن يوقظ الفطرة عندهم ليدركوا أن من أوجد من العدم قادر على الإعادة بعد البِلى، وأن جميع مظاهر الإحياء في الطبيعة مثل إحياء الأرض بعد موتها شاهد مستمر ودائم على قدرة الله سبحانه وتعالى[١٢٠]، (فَانظُر إِلىٰ ءاثـٰرِ رَحمَتِ اللَّهِ كَيفَ يُحيِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِها إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحيِ المَوتىٰ)[١٢١].

٣- البعث من أساطير الأولين.

قالوا المشركون استهزاء: (لَقَد وُعِدنا نَحنُ وَءاباؤُنا هـٰذا مِن قَبلُ إِن هـٰذا إِلّا أَسـٰطيرُ الأَوَّلينَ)[١٢٢]، فهم انكروا فكرة البعث وجعلوه موروثا خرافيا لا حقيقة له، ورد عليهم القرآن الكريم بأن أكد لهم أن وعد الله

حق وأنه آت لا محالة، وأن هذا التأخر إنما هو للابتلاء، وبهذا يفنّد الخطاب القرآني وصف المشركين للبعث بالأسطورة، ويفك الربط بين ما يتداولونه من اساطير وبين البعث الأخروي.

٤- وصف البعث بأنه سحر.

قال مشركو مكة متهكمين: (وَلَئِن قُلتَ إِنَّكُم مَبعوثونَ مِن بَعدِ المَوتِ لَيَقولَنَّ الَّذينَ كَفَروا إِن هٰذا إِلّا سِحرٌ مُبينٌ)[١٢٣]، فرد القرآن الكريم عليهم ببيان أن تكذيبهم البعث واتهامهم بانه سحر لا يغير من الحقيقة شيئا، فالسحر لا يصنع خلقا جديدا ولا باستطاعته أن يحيي العظام[١٢٤]، ثم ذكرهم بقدرة الله تبارك وتعالى: (لِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحيِ المَوتىٰ وَأَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ)[١٢٥]، فما يزعمون أنه من السحر هو الحق وهو داخل ضمن القدرة الإلهية ولا مجال فيه للوهم أو الخداع.

٥. شبهة أن لهم في الآخرة مالا وولدا.

طرح بعض زعماء المشركين المتكبرين شبهة فقالوا: (أَفَرَءَيتَ الَّذى كَفَرَ بِـٔايـٰتِنا وَقالَ لَأوتَيَنَّ مالًا وَوَلَدًا)[١٢٦]، فهؤلاء زعموا أن لو كان هناك بعث وكان هناك نعيم أخروي فسيكون امتدادا لترفهم الدنيوي، فجاءهم الرد الإلهي قاطعا: (وَيَأتينا فَردًا)[١٢٧]، أي يأتينا مجردا من كل ما يملك، وفي هذا نقض مباشر لأساس تصورهم، فيوم القيامة يوم عدل لا محاباة فيه، وأن المعيار الحق فيه هو الإيمان السليم والعمل القويم لا المال والجاه.

وهكذا نرى أن الخطاب القرآني وهو يواجه اتهامات المشركين حول إنكار البعث لم يترك الامر بلا ردود، فقد استعمل المنطق العقلي معهم في أن ما كان ممكنا ابتداء فيمكن اعادته، وان الخالق الأول من العدم هو القادر على إعادة مخلوقاته بقدرته، ثم أثبت لهم أن الإيمان بالآخرة فضلا على كونه عقيدة غيبية، فهو رؤية فكرية أسست لمفهوم العدالة الكونية وبدونها يمكن ان يشيع الظلم والفساد، وهذا يمكن ان يكون من أبرز ركائز الفكر الإسلامي في قضية البعث واثرها في بناء المجتمع.

الخاتمة

بعد استعراض وتحليل مضامين الخطاب القرآني في عهده المكي، واستخلاص الاتهامات او الاستشكالات التي طرحها مشركو مكة، ثم ما تضمنه ذلك الخطاب من ردود فكرية عميقة حول تلك الاتهامات والاستشكالات التي أثيرت، اتضح أن الخطاب كان خطابا إصلاحيا شاملا استهدف تحرير عقل الإنسان من التقليد والخرافة، ثم إعادة بناء هذا العقل على أسس التوحيد والحرية الفكرية المسؤولة، إن القرآن الكريم الذي خاطب مشركو مكة ابتداءً -ثم هو للناس كافة- لم يكن كتاب عقيدة فقط، ولم يكن مجرد نص تعبدي، بل كان كان بالإضافة الى ذلك منظومة فكرية متكاملة تتعامل مع الإنسان على أنه كائن عاقل مفكر، فدعته إلى النظروالتفكر، ثم الاستدلال على ما يعتقد قبل التسليم.

أولا: النتائج العامة للبحث:

١- إن خطاب القرآن في عهده المكي اعتمد منهج الإقناع والحجاج الفكري في رد شبهات المشركين، مما أظهر الطابع الفكري في بناء وتكوين العقيدة الإسلامية.

٢- توازن أساليب الرد القراني بين العقل والقلب، والفكر والشعور، فاستعمل الدليل العقلي، والحوار المنطقي، والاستدلال الوجودي، ولم يهمل المخاطبة الوجدانية في توازن دقيق.

٣- أظهرت نصوص القرآن الكريم الفهم العميق للبنية الذهنية الجاهلية لمشركي مكة، فتم كشف تناقض تصوراتهم حول الألوهية واليوم الاخر والوحي، وربطت هذه التصورات بمشكلات أخلاقية وفكرية في أصل بنية المجتمع الجاهلي.

٤- أعادت النصوص المكونة للخطاب القرآني تعريف القيادة والنبوة فحولتها من كونها شأنا اجتماعيا أو سياسيا -كما هي تصورات بعض المشركين- إلى كونها تكليفا الهيا واصطفاء قائما على الصدق والأمانة.

٥- ركز الخطاب القراني في معرض رده على إنكار البعث والنشور حول تأسيس فكرة العدالة والمسؤولية الأخلاقية في هذا الكون، وهذا ما جعل الإيمان باليوم الاخر محورا للتصور الإسلامي في فهم معنى الوجود الإنساني وتفسير مآله.

٦- يلحظ من خلال تحليل الخطاب القرآني المكي أنه قدم منهجا للحوار مع المخالفين قائم على مبدأ (قل)، وهذا ما جعله نموذجا رائدا في الحوار الفكري الذي يتبناه الإسلام، وهو منهج قائم على الحرية والاحترام والعقلانية.

ثانيا: المقترحات.

١- الدعوة إلى التوسع في قراءة الخطاب المكي بشكل معمق للكشف عن أبعاده الفلسفية في نقد العقل المادي والعقل الوثني المعاصر.

٢- تقديم أطروحة جديدة يمكن من خلالها بناء منهج حوار قرآني يكون منطلقا للحوار الحضاري بين الأديان والثقافات، وتشجيع الباحثين في الفكر الإسلامي على ذلك.

٣- إيجاد دراسة تعنى بالمقارنة بين الخطاب الفكري في العهد المكي والعهد المدني وخصوصا فيما يتعلق بالحوار مع المخالفين.

٤- الاستفادة من هذه الدراسة في تطوير مشاريع إصلاح الفكر الديني وخطابه المعاصر، وتأكيد أن منهج الرد على الشبهات الفكرية المعاصرة لا ينفصل عن منهج القرآن الأصيل في الحجاج والحوار والدعوة والإقناع.

الهوامش:

---

(١) سورة ص: اية ٥.
(٢) ينظر: محمد لطفي جمعة، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٠م، ص١٢٩.
(٣) سورة الأنبياء: اية ٢٢.
(٤) ينظر: الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، ج٢٢/ ص١٥٠ وما بعدها.
(٥) سورة المؤمنون: آية ٩١.
(٦) سورة الفرقان: آية ٢١.
(٧) ينظر: الفتلاوي، محمد كاظم، النقد القراني للانحرافات العقلية والعقدية، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، بغداد، العدد ٢١ لسنة ٢٠١٧م، ص١٥٦.
(٨) سورة الأنعام: آية ١٠٣.
(٩) سورة الأنبياء: آية ٢٦.
(١٠) سورة الصافات: آية ١٥٢.
(١١) سورة النحل: آية ٥٧.
(١٢) سورة مريم: آية ٩٢.
(١٣) سورة يونس: آية ٦٨.
(١٤) سورة الزمر: آية ٤.
(١٥) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢/ ص٥٣.

(١٦) سورة النجم: آية ٢١-٢٢.
(١٧) سورة الانعام: آية ٩١.
(١٨) سورة الأنعام: آية ٩١.
(١٩) سورة الأسراء/ آية ١٠٥.
(٢٠) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القران، دار هجر، القاهرة، ٢٠٠١م، ج١٥/ ص١١٣.
(٢١) سورة الصافات: آية ١٥٨.
(٢٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القران العظيم، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٨م، ج٧/ص٤٢.
(٢٣) سورة الأنبياء: آية ٢٦-٢٧.
(٢٤) سورة الفرقان: آية ٢١.
(٢٥) سورة الأنعام: آية ٨.
(٢٦) سورة الأنعام: آية ٨-٩.
(٢٧) ينظر: دراز، محمد عبدالله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القران الكريم، دار طيبة، الرياض، ٢٠٠٠م، ص٦٣.
(٢٨) سورة ص: آية ٨.
(٢٩) سورة الزخرف: آية ٣١.
(٣٠) ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤، ٢٠٠١م، ج٧/ص١٢٣.
(٣١) سورة الزخرف: آية ٣٢.
(٣٢) سورة الانعام: آية ١٢٤.
(٣٣) سورة الفرقان: آية ٤.
(٣٤) سورة الطور: آية ٣٣.
(٣٥) سورة الفرقان: آية ٥.
(٣٦) سورة الحاقة: آية ٤٤-٤٥.
(٣٧) سورة الطور: آية ٣٤.
(٣٨) ينظر: محمد عمارة، القران يتحدى، مكتبة الامام البخاري، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٤٤.
(٣٩) سورة الشعراء: آية ١٩٢-١٩٣.
(٤٠) سورة المدثر: آية ٢٤.
(٤١) سورة الأنبياء: آية ٣.
(٤٢) سورة المائدة: آية ١٠٠.
(٤٣) سورة الاسراء: آية ٨٢.
(٤٤) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م، ج٢٩/ ص٣١٠.
(٤٥) سورة الأنبياء: آية ٥.
(٤٦) ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القران، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ج١١/ص٢٧٠.
(٤٧) سورة الفرقان: آية ٦.
(٤٨) سورة العنكبوت: آية ٤٨.
(٤٩) سورة يونس: آية ٥٣.
(٥٠) سورة الاسراء: آية ١٠٥.
(٥١) سورة الانعام: آية ٦٦.
(٥٢) ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م، ج٤/ص١٢٧.
(٥٣) سورة يونس: آية ١٥.

(٥٤) سورة يونس: آية ١٥.
(٥٥) سورة يونس: آية ١٦.
(٥٦) سورة الفرقان: آية ٣٢.
(٥٧) سورة الفرقان: آية ٣٢.
(٥٨) ينظر: القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القران، مكتبة المعارف، ط٣، ٢٠٠٠م، ص١١٧.
(٥٩) سورة المطففين: آية ١٣.
(٦٠) سورة الفرقان: آية ٦.
(٦١) سورة الزمر: آية ٢٧.
(٦٢) ينظر: النحلاوي، عبدالرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط٢٥، ص١٨٩.
(٦٣) سورة القلم: آية ٥١.
(٦٤) سورة الحجر: آية ٦.
(٦٥) سورة الصافات: آية ٣٦.
(٦٦) سورة التكوير: آية ٢٢.
(٦٧) سورة القلم: آية ٢.
(٦٨) سورة النجم: آية ٢.
(٦٩) سورة سبأ: آية ٤٦.
(٧٠) ينظر: الخطابي، حمد بن محمد، بيان أعجاز القران، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م، ص٢٨.
(٧١) سورة ص: آية ٤.
(٧٢) سورة القمر: آية ٢.
(٧٣) سورة الاسراء: آية ٤٨.
(٧٤) ينظر: الغزالي، محمد، كيف نفهم الإسلام، نهضة مصر للنشر، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٥م، ص١٧.
(٧٥) سورة الأنبياء: آية ٥.
(٧٦) سورة الطور: آية ٣٠.
(٧٧) سورة يس: آية ٦٩.
(٧٨) سورة الحاقة: آية ٤١.
(٧٩) ينظر: الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القران، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٧م، ج٢/ص٩٠ ومايليها.
(٨٠) سورة الطور: آية ٢٩.
(٨١) سورة الحاقة: آية ٤٢.
(٨٢) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ج١٣/ ص٣٦٢-٣٦٣.
(٨٣) سورة ص: آية ٤.
(٨٤) سورة الشورى: آية ٢٤.
(٨٥) سورة النجم: آية ١١.
(٨٦) سورة النمل: آية ٦.
(٨٧) ينظر: مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٤/ص٤٩٢.
(٨٨) سورة الافرقان: آية ٧.
(٨٩) سورة الاسراء: آية ٩٤.
(٩٠) سورة الفرقان: آية ٢٠.
(٩١) سورة الاسراء: آية ٩٥.
(٩٢) سورة الاسراء: أية ٤٧.

(٩٣) ينظر: شمس الدين ابن مفلح، محمد بن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، دار عالم الكتب، القاهرة، ج٣/٩٥-٩٦.
(٩٤) سورة الشعراء: آية ٢١٠-٢١١.
(٩٥) ينظر: القاضي، عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ج١٨١/٢.
(٩٦) ينظر: طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقران الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١٠/ ٢٩٠.
(٩٧) سورة الشعراء: آية ٢٢١-٢٢٢
(٩٨) سورة الشعراء: آية ٢١٠-٢١١.
(٩٩) سورة يونس: آية ٢٠.
(١٠٠) سورة هود: آية ١٢
(١٠١) سورة العنكبوت: اية ٥٠.
(١٠٢) سورة يونس: آية ٢٠.
(١٠٣) سورة الضحى: آية ٣.
(١٠٤) ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، الحديث رقم ٦٩٨٢، ص١٣٤٢.
(١٠٥) سورة القصص: آية ٥٧.
(١٠٦) سورة القصص: آية ٥٧.
(١٠٧) ينظر: القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لاحكام القران، ج٣٩٩/٧.
(١٠٨) سورة الفرقان: آية ٤٢.
(١٠٩) سورة الفرقان: آية ٤٢.
(١١٠) سورة القيامة: آية ٦.
(١١١) سورة يونس: آية ٤٨.
(١١٢) سورة يونس: آية ٤٩.
(١١٣) سورة تبارك: آية ٢٦.
(١١٤) سورة طه: آية ١٥.
(١١٥) ينظر: الطبري، محمد جرير، ج١٩/ص٢٠٢.
(١١٦) سورة يس: آية ٧٨.
(١١٧) سورة سبأ: آية ٧.
(١١٨) سورة يس: آية ٧٩.
(١١٩) سورة الاحقاف: آية ٣٣.
(١٢٠) ينظر: الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي -الخواطر-، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١١٩٧م، ج١١٥١٢/١٨-١١٥١٦
(١٢١) سورة الروم: آية ٥٠.
(١٢٢) سورة المؤمنون: آية ٨٣.
(١٢٣) سورة هود: آية ٧.
(١٢٤) ينظر: القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لاحكام القران، ج٢/ ٤٦.
(١٢٥) سورة الحج: آية ٦.
(١٢٦) سورة مريم: آية ٧٧.
(١٢٧) سورة مريم: آية ٨٠.

المصادر:

القران الكريم.

١. ابن عاشور. محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
٢. ابن كثير. إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م.
٣. ابن كثير. إسماعيل بن عمر، تفسير القران العظيم، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٨م.
٤. ابن منظور. محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
٥. البخاري. محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت.
٦. جمعة. محمد لطفي ، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٠م.
٧. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤، ٢٠٠١م.
٨. الخطابي. حمد بن محمد، بيان أعجاز القران، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.
٩. دراز. محمد عبدالله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القران الكريم، دار طيبة، الرياض، ٢٠٠٠م.
١٠. الرازي. فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
١١. الزركشي. بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القران، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.
١٢. الزمخشري. محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
١٣. الشعراوي. محمد متولي، تفسير الشعراوي -الخواطر-، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١١٩٧م.
١٤. شمس الدين ابن مفلح. محمد بن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، دار عالم الكتب، القاهرة.
١٥. الطبري. محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القران، دار هجر، القاهرة، ٢٠٠١م.
١٦. طنطاوي. محمد سيد، التفسير الوسيط للقران الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٧. الغزالي. محمد، كيف نفهم الإسلام، نهضة مصر للنشر، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٥م.
١٨. الفتلاوي. محمد كاظم، النقد القراني للانحرافات العقلية والعقدية، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، بغداد، العدد ٢١ لسنة ٢٠١٧م.
١٩. القاضي. عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
٢٠. القرطبي. محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القران، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
٢١. القطان. مناع بن خليل، مباحث في علوم القران، مكتبة المعارف، ط٣، ٢٠٠٠م.
٢٢. محمد عمارة، القران يتحدى، مكتبة الامام البخاري، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٢٣. مقاتل بن سليمان. تفسير مقاتل بن سليمان، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢٤. النحلاوي. عبدالرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، بيروت، ط٢٥، ٢٠٠٧م.